الباب الثالث

« الحركة الخرّمية » ..وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

نشأة الخرّمية

الخرّمية أو الخرمدينية[١] ملة قديمة انتشرت بالمشرق منذ قديم قبل ظهور الإسلام بفترات طويلة ، وطائفة الخرّمية (بضم الخاء وفتح الراء مع التشديد وكسر الميم) ترجع فى أصلها القديم إلى المجوسية أو المجوس الذين أثبتوا أصلين اثنين مديرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد يسمون أحدهما النور والآخر الظلمة ولهم مذهب طويل ومفصل فيما اعتقدوه من هذه الأمور[٢] .

وقد سُميت بالخرّمية نسبة إلى خرما امرأة مزدك أحد الموابذة أى رجال الدين الفرس فى الدولة الساسانية الفارسية ، وقد أخذت هذه المرأة على عاتقها نشر مبادىء المزدكية بعد مقتل زوجها مزدك على يد خسرو الأول (أنو شروان)[٣] الذى اطلع على خزيه وافترائه مما دعاه إلى قتله[٤] .

وتعددت المسميات التى أطلقت على الخرّمية عبر الزمن وذلك على حسب تعدد الأهداف التى خرجت تنشد تحقيقها أو الغايات التى ثارت من أجلها أو على حسب الطوائف والجماعات التى انتمت إليها وغلبت عليها .

فأصحاب الملل والنحل يقسمون الخرّمية إلى صنفين هما :

---

(١) الخرمدينية ـ لفظ أعجمي معناه كل ما تستلذ وتشتهي وترتاح به الأنفس ، وهو من ألقاب المزدكية أهل الإباحية والفجور .

(٢) انظر فيه الشهرستاني ـ الملل والنحل ، وابن حزم ـ الفصل في الملك والأهواء والنحل ، والبغدادي ـ الفرق بين الفرق وغيرهم .

(٣) أنو شروان ـ بن قياذ ، تولى حكم الاصبهذ بعد أبيه وهى الرياسة على الجنود ، وفي أيامه رأى الموبذان أن إبلاً صعاب تقود خيلاً عراب وقد قطعت دجلة والفرات فأفزعه ذلك وعرف أن ملك العرب سيظهر ومات لثمان وأربعين سنة من دولته .

(٤) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤٠٠ .

الصنف الأول : كان قبل دولة الإسلام كالمزدكية الذين استباحوا الحرمات وأحلوا المنهيات وزعموا أن الناس شركاء فى الأموال والنساء[١] ، والسبب فى ذلك أن مزدك نهى الناس عن المخالفة والمباغضة والتشاجر والقتال ، ولما كان أكثر هذه الأمور تقع بسبب النساء والأموال فإنه أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم فى الماء والنار والكلاء ونقل عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة[٢] .

ويشير ابن النديم إلى الإباحية الفاضحة فى مبادىء مزدك التى سنها ودعا إليها فيقول : (وأنه أمرهم بتناول اللذات والإنعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة فى الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولايمنعه ، ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير وترك القتل وإدخال الآلام على النفوس ، وإذا استضافوا إنساناً لم يمنعوه من شىء يلتمسه كائناً ماكان)[٣] .

وقد دامت فتنة هؤلاء واستمرت طرق غوايتهم إلى أن ظفر بهم أنوشروان فمزقهم كل ممزق وقتلهم شر قتلة[٤] .

وقد تركز وجود أتباع هذه النحلة فى نواحى الجبال والهضاب فيما بين أذربيجان وإرمينية[٥] وبلاد الديلم وهمدان ودينور[٦] ، وفيما بين أصفهان وبلاد الأهواز والأماكن المجاورة[٧] .

---

(١) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص١٦١ .

(٢) الشهرستاني ـ الملل والنحل ٢/ ٥٤ .

(٣) الفهرست ص٤٦٤ .

(٤) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص١٦٢ ، وابن النديم ـ الفهرست ٤٦٤ .

(٥) إرمينية (بكسر أوله وسكون ثانيه) ـ اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال (معجم البلدان ـ ١/ ١٦٠) .

(٦) دينور ـ مدينة من أعمال الجبل قرب قرسين ، كثيرة الأشجار والزروع (معجم البلدان ـ ٢/ ٥٤٥) .

(٧) ابن النديم ـ الفهرست ص٤٦٤ .

الصنف الثانى : هم الخرمدينية نسبة إلى مدينة بفارس إسمها خرّمة وقيل نسبة إلى خرّم أى الشهوة[١] لأن أتباعها كانوا يدينون بما يريدون ويقترفون ما يشتهون من الشهوات والنزوات ويسارعون إلى تلبية كل مايرغبون فيه وليس لهم حدود فى أتيان المنهيات ، وهذا الصنف ظهر فى الإسلام ، لذا يسميهم بعض المؤرخين بالخرّمية الحديثة أو الثانية وهم محور حديثنا أو بحثنا إن شاء الله تعالى ، والخرّمية الحديثة فريقان :

(أ) الخرّمية البابكية - نسبة إلى بابك الخرمى الذى ظهرت فتنته فى عهد المأمون والمعتصم خلال العصر العباسى الأول وسوف نتحدث عنه وعن نشأته .

(ب) الخرّمية المازيارية - وهم أتباع مزيار بن قارن الذى أظهر دين المحمرة بجرجان[٢] وأعلن العصيان فى عهد الخليفة المعتصم[٣] .

وقد أطلق على الفريقين اسم المحمرة[٤] وعلى كل حال فإن الخرّمية الحديثة التى ظهرت بعد الإسلام وخلال العصر العباسى الأول ارتبطت ارتباطاً وثيقاً باسم بابك حتى أطلق عليها اسم الخرّمية البابكية وهى من الحركات الهدامة التى عدها المؤرخون من الحركات التى تعمل على إحياء تعاليم مزدك .

ثانياً- نشاط الخرّمية خلال العصر العباسى الأول :

أصبح للخرمية نشاط ملحوظ خلال العصر العباسى الأول ، إذ كانت تنشط مرة وتزبل أخرى ، وكان أتباعها الذين يحملون لوائها يقومون بنشر مبادئها الهدامة والفاسدة فى كل ناحية من نواحى همدان وفارس وبلاد الأهواز وخراسان ، على أن هذه المبادىء لم يكن لها خاصية الاستمرار نظراً لتعارضها مع العقل السليم والمنطق الواعى القويم .. فضلاً عن

---

(١) وقيل سميت بالخرّمية نسبة إلى خرما امرأة مزدك التي قامت بنشر مبادىء عقائد هذا المذهب بعد قتل زوجها .

(٢) جرجان - مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان (معجم البلدان - ٢/ ١١٩) .

(٣) البغدادي - الفرق بين الفرق ص١٦١ .

(٤) سموا بالمحمرة لأنهم كانوا يلبسون الثياب الحمر في عهد بابك الخرمي .

تصادمها مع القيم الإيمانية والفضائل التى جاء بها الإسلام ودعا إليها وحث عليها والتى ترتفع بالنفس الإنسانية وتسمو بها إلى مصافى الكمال . ولهذا وجدت هذه المبادىء تصادماً وتعارضاً من بعض أتباعها أنفسهم ، ومن ثم انقسموا إلى فرق ومذاهب متعددة كان منها الكوذية والماهانية وأبو مسلمية(١) .

كانت الخرّمية تخرج مابين الحين والحين فتجهر بالتمرد والعصيان ، وكانت الباطنية تحالفهم وتشد من أزرهم ، وذلك لأن أصل المذهبين واحد(٢) .

وقد صرح أئمة الملل والنحل بأن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان ، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال فى وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر(٣) .

وكان لتحالف الباطنية مع الخرمية أثر كبير فى شق عصا الطاعة وخروجهم على الخليفة ، ففى سنة اثنتين وستين ومائة فى أيام الخليفة المهدى اتحدت باطنية جرجان الذين يُقال لهم (أصحاب العلم الأحمر) مع الخرمدينية وذهبوا إلى أن أبا مسلم مازال حياً وأنهم سيتولون الملك وقدموا عليهم ابنه أبا الغراء وبلغوا الرى وقد أباحوا النساء وأحلوا الحرام(٤) .

وقد أشار الطبرى إلى خروج المحمرة بجرجان فى عهد الخليفة المهدى ، وعلى رأسهم رجل يُقال له عبد القهار فأهاجوا أهل جرجان وتغلبوا عليهم وقتل بشراً كثيراً ، ولما استفحل أمره وكثر فساده غزاه أحد قواد المسلمين وهو عمر بن العلاء من طبرستان ، وتمكن عمر من قتله وقتل بعض رجال المحمرة وتشريد بعضهم(٥) .

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ٢/ ٥٥ .
(٢) نظام الملك ـ سياست نامة ص٢٨٧ .
(٣) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص١٦٩ .
(٤) نظام الملك ـ سياست نامة ص٢٨٧ .
(٥) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٤٣ . وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ١١٩ .

ويبدو أن المحمرة قد دأبوا على العصيان فلم يقعدوا عن الغارة والهجوم على المسلمين ، ففى عام ٢٨١ هـ خرجت المحمرة وغلبت على جرجان .

وفى عهد الخليفة هارون الرشيد وحينما كان بخراسان خرجت الخرمدينية مرة أخرى من ناحية أصفهان وترمذين وكابله[١] ورساتيق أخرى كانت قابعة بها وخرج خلق كثير من الرى وهمدان ودسته ولحقوا بهم وكان عددهم آنذاك أكثر من مائة ألف رجل[٢] .

فوجه إليهم الرشيد من خراسان أحد قواده عبد الله بن مالك فى عشرة آلاف مقاتل فأسرو سبى أعداداً هائلة وحتى لا يعودوا إلى الثورة والتمرد على الطاعة مرة ثانية فإنه أمر بقتل الأسارى وبيع السبى .

ويذكر أن عبد الله بن مالك كتب للخليفة أن لا غنى لنا عن أبى دلف العجلى فاستجاب له الخليفة واستصوب رأيه وصار كلاهما يداً واحدة .

واجتمعت الخرمدينية مرة أخرى وعاودوا الغارة والفساد فبغتهم أبو دلف العجلى وعبد الله بن مالك وقتلا منهم خلقاً كثيراً لا حد له وحملا بنيهم إلى بغداد وباعوهم فى الأسواق[٣] .

وفى عام اثنتين وستين ومائة خرجت المحمرة بجرجان فقتلوا وفسدوا[٤] .

ثالثاً. ظهور بابك، نشأته ونسبه :

نشأ بابك نشأة غير قويمة فى بيئة تقوم على الإباحية الرخيصة ، حيث ولد من سفاح نتيجة العهارة والدنس اللذين تدنس بهما ووقع فيهما والديه قبل مولده .

فقد جاء عنه فيما ذكره المؤرخون أن أباه كان رجلاً من أهل المدائن

---

(١) كابل ـ هى أرض بين الهند ونواحي سجستان ، وقيل كابل من ثغور طخارستان (معجم البلدان ٤/ ٤٢٦) .

(٢) نظام الملك ـ سياسة نامة ص٢٨٧ .

(٣) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٣٣٩ .

(٤) أبو حنيفة الدينوري ـ الأخبار الطوال ص٥٦٠ .

كان يعمل دهاناً ، وقد نزع إلى ثغر أذربيجان فسكن قرية تدعى بلال أبان من رستاق ميمد وكان متى انتقل إلى مكان حمل دهانه فى وعاء على ظهره فهوى امرأة عوراء فقيرة الحال من قرى أذربيجان فشغف بها ، وهذه المرأة هى أم بابك فكان يفجر بها خلسة مابين الحين والحين ، وذات مرة إذ كانا يلتمسان مكاناً بعيداً عن القرية والأعين وبينما هما يمارسان الرذيلة والفحشاء ومعهما شراب يعتكفان عليه إذ خرج من القرية نسوة يسقين الماء من عين الغيظة فسمعن صوتاً نبطياً يترنم به[١] فقصدن إليه وهجمن عليهما فإذا بهما يفجران فهرب عبد الله[٢] وأخذن بشعر أم بابك وجئن بها إلى القرية وفضحنها فضيحة نكراء[٣] .

وبعد فترة وضعت هذه المرأة رضيعها وقد أسمته بابك وجعلت تتكسب عليه فكانت ترضع للناس بأجرة إلى أن صار عند بابك عشر سنين فيُقال أنها خرجت ذات يوم تلتمس بابكاً وكان يرعى بقراً لقوم فوجدته تحت شجرة نائماً رأت شعر بدنه قد اقشعر وتحت كل شعرة من صدره ورأسه دماً ، فعلمت أنه سيكون لإبنها هذا شأن عظيم ، وكان فى تلك الجبال قوم من الخرمية وعليهم رئيسان يتكافحان ويخالف أحدهما الآخر ، يُقال للأول جاويذان ويقال للثانى عمران ، وكانت الحرب تدور بينهما فى الصيف فإذا أقبل الشتاء حال الثلج والبرد بينهما فتوقف القتال[٤] .

وذات يوم خرج جاويدان من مدينته يسوق أمامه ألفى شاة يقصد بها زنجان ليبيعها ، وقد تم له ما أراد ، وبينما هو عائد مرّ بقرية بابك فأدركه

---

(١) يذكر البلخي أن هذا الرجل وهو والد بابك كان من نبط السواد .

(٢) يذكر البلخي أنه لم يتمكن من الهرب وإنما قُتل بسبب هذا الفعل ، بينما يذكر ابن النديم أنه تمكن من الهرب ولكنه عاد ذلك الدهان بعد فترة وجيزة إلى والد هذه المرأة العوراء ليطلبها منه فزوجه منها فولدن له بابكا ، ثم خرج في بعض أعماله إلى جبل سبلان فاعترضه أحد الرجال فقتله .

ورواية البلخي أقرب للصحة والقبول وإن كان زواج هذا الرجل من المرأة العوراء على حسب رواية ابن النديم لم يدفع عنه دنس الرذيلة ولم يرد عن ابنه بابك عار النسب .

(٣) ابن النديم ـ الفهرست ص٤٦٥ .

(٤) ابن النديم ـ الفهرست ص٤٦٦ .

الثلج والبرد فأنزله بعض أهلها على أم بابك فأكرمته وقام ابنها بابك إلى غلمانه ودوابه فخدمهم وأسقى لهم الماء وبعثه جاويدان فابتاع له طعاماً وشراباً ففعل فسر به جاويدان وتفرس فيه الذكاء وسرعة التصرف فقال لأمه أيتها المرأة أنا رجل من جبل البذ[١] وصاحب مال ويسار وأريد استأجر ابنك ليساعدني في أمور ملكي وسوف أبعث إليك بأجرته كل شهر خمسين درهماً فرضيت أمه وبعثت به معه ، فلما قامت الحرب بين عمران وجاويذان كالعادة تمكن جاويدان من إلحاق الهزيمة به وقتل عمران وعاد إلى جبله منتصراً ولكن به طعنة نافذة فأقام في منزله ثلاثة أيام ثم مات[٢] .

وهنا برزت امرأة جاويذان وزعمت أن بابك قد استخلف عن زوجها وأن روحه حلت في بابك وانتقلت إليه وصاحت في قومها بأعلى صوتها وقالت إن جاويدان قال : قبل أن يموت إني أريد أن أموت في هذه الليلة وإن روحي تخرج من بدني وتدخل في بدن بابك وأنه سيبلغ بكم أمراً لم يبلغه أحد وأنه سيملك الأرض ويقتل الجابرة ويرد المزدكية ويعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم[٣] .

وكانت امرأة جاويذان تعشق بابكا وكان يفجر بها ولهذا آثرته على كل أتباع جاويذان ، فلما سمعوا منها هذا قالوا لها كيف لم يدع بنا ويوصي إلينا ؟ فقالت : ما منعه من ذلك إلا أنكم كنتم متفرقين في منازلكم من القرى وخاف إن بعث إليكم أن ينتشر خبره ، فعهد إليّ بما أنا أؤديه إليكم فقالوا لها قد قبلنا عهده إليك في هذا الغلام وذلك أن الخرمية لا يصبحون ولايمسون إلا على توقع الحركة فاتبعوه وصدقوا المرأة على شهادتها ، وعند ذلك أمر بابك أصحابه وأتباعه من النواحي والقرى وكانوا في قلة وذلة أن ينتشروا ويرجعوا إلى قراهم ومنازلهم بعد أن أعطاهم سيوفاً وخناجراً[٤] .

---

(١) البذ ـ كورة بين أذربيجان وأران ، بها كان مخرج بابك الخرمي في أيام المعتصم (ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ١/ ٣٦١) .

(٢) البلخي ـ البدء والتاريخ ٢/ ٢٩٨ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٩٨ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٩٩ .

كانت أول أوامر بابك لأصحابه أن يمكثوا فى منازلهم حتى ثلث الليل الأخير فإذا كان ذلك الوقت خرجوا على الناس كالأسود الهائجة فلا يتركون رجلاً ولا امرأة ولا طفلاً من قريب أو بعيد إلا قطعوه ففعل القوم ماأمرهم به ، فأصبح أهل تلك القرى قتلى بأيدى الخرمية لا يدرون من أمرهم شيئاً ولا ما السبب فيه ، ودخل الناس من جراء ذلك رعب شديد وهول عظيم .

وعاد أصحاب بابك فكروا مرة أخرى على ما حولهم من البقاع والبلدان فسعوا فى الأرض فساداً وكانوا لا يدعون صغيراً ولا كبيراً ولا ذمياً[١] إلا قتلوه[٢] .

تلك هى طبيعة الخرامية وسجيتها بكل صورها ، وهى طبيعة التدمير والتخريب لكل ماهو نافع ومفيد فغايتها إشاعة الفساد ونشره واستئصال شأفة كل مخالف لها أو معاد لمبادئها .

أما نسبه فمختلف فيه فيرى البغدادى (أن بابك يعود إلى فرقتى الكركدية واللودشاهية)[٣] .

بينما يرى الدينورى أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبى مسلم الخراسانى وهى التى تنسب إليها الفاطمية من الخرامية وليس إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وقد استفتح عهده بقتل من حوله بالبذ[٤] .

رابعاً. خروج بابك :

بدأت حركة بابك الثورية الهدامة على حدود أذربيجان وأران[٥] وبيلقان[٦]

---

(١) الذمي ـ هو من أعطى العهد والميثاق في أن يمارس شعائر دينه في حرية تامة داخل مجتمعه سواء كان الذمي يهودياً أو مسيحياً أو مجوسياً ، وهذه هى الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لغير المسلمين .

(٢) البلخي ـ البدء والتاريخ ٢/ ٢٩٩ .

(٣) الفرق بين الفرق ص٦١ .

(٤) الأخبار الطوال ص٥٨٨ .

(٥) أران ـ اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة ، وأران أيضاً قلعة مشهورة من نواحي قزوين ١/ ١٣٦ .

(٦) بيلقان ـ هى احدى مدن إرمينية الكبرى (معجم البلدان ١/ ٥٣٣) .

وكان أول ظهوره على ما ذكره المؤرخون فى قرية بابك المعروفة باسم بد أو البد ولم تكن مشهورة ولكنها اشتهرت من وقت ظهوره ، وكان يعتقد أن المهدى المنتظر يظهر فيها لينشر العدل وقد كان أغلب أتباعه منها وكان يستميلهم بتوزيع الأراضى عليهم(١) .

وقد حدد المؤرخون لخروج بابك وإعلان دعوته تاريخاً هو عام (٢٠١ هـ / ٨١٧ م) حيث تحرك بابك فى الجاوذانية أصحاب جاويذان بن سهل صاحب البد وادعى أن روح جاويذان دخلت فيه وأخذ فى العبث والفساد(٢) .

إذ كان بابك يقوم بخدمة جاويذان أحد رؤساء الخرمية ، فلما مات أقامت امراته بابك مكانه وادعت أن روحه حلّت فى جسده وأوعزت إلى رجاله بوجوب طاعته(٣) .

بات المشيعون لبابك الخرمى بعدما تولى زعامة الخرّمية يزدادون يوماً بعد يوم وأخذت حركته تقوى وتشتد حيث يقول البلخى (وانضوى إليه القطاع والحرّاب والذعار وأصحاب الفتن وأرباب النحل الزائفة وتكاشفت جموعه حتى بلغ فرسان رجاله عشرين ألف فارس سوى الرجالة واحتوى على مدن وقرى وأخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والإنهاك فى الفساد وقلة الرحمة والمبالاة)(٤) .

وكان كلما ازداد أتباعه وكثر مشيعيه زاد هو فى الإفساد والتخريب والقتل والتعذيب فى المسلمين .

فى تلك الفترة الراهنة كانت الخلافة العباسية تمر بفترة قاسية وشدة عاتية بسبب النزاع الذى دب بين الأمين وأخيه المأمون حين عزم الأول على خلع أخيه من ولاية العهد(٥) وشجعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع

(١) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤٠٢ .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٥٥٦ ، وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٣٤٥ .

(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٦ .

(٤) البدء والتاريخ ٢/ ٢٩٩ .

(٥) كان الرشيد قد عهد بالخلافة لأبنائه الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن ، وكتب بذلك صحيفة أشهد فيها القضاة والفقهاء وأكابر بني هاشم وعلقت في الكعبة ولكن بعد موت الرشيد تنازع المأمون مع أخيه الأمين على الخلافة فحدثت بذلك فتنة كبيرة .

لأنه كان يخاف المأمون لما فعله عند وفاة الرشيد من إحضاره جميع عسكره إلى الأمين .

والفتنةبرمتها تشير بل تؤكد على الصراع الشديد بين العرب والعجم والذى زادت حدته وأخذ فى التصاعد بعد وفاة الرشيد ، فالأمين هو من نسل عربى صميم كان يسيطر بالفعل على الأقاليم العربية وكان للفضل بن الربيع وزيره أحاسيس عربية ترغب فى الحفاظ على وحدة الخلافة العربية حتى اعتبر أن زوال الأمين معناه زوال العصبية العربية ، بينما كان المأمون من نسل فارسى وكان يسيطر على الأقاليم الفارسية وكانت تتملكه رغبة قوية فى الميل إلى العجم بسبب قرابتهم لأمه وزكى هذه الرغبة عنده وباركها وزيره الفضل بن سهل الذى هو من أسرة إيرانية من أولاد ملوك الفرس الذين كانوا يدينون بالمجوسية(١) .

وعرف ابن سهل بميله الشديد إلى بعث القومية الفارسية ، ولهذا شجع المأمون على الامتناع عن الاقرار بالخلع الذى عزم عليه الأمين وقال له أصبر قليلاً أضمن لك الخلافة(٢) .

ولهذا لم يتفرغ المأمون لأمر بابك إلا بعد ثلاث سنوات من حركته أى فى عام (٢٠٤ هـ - ٨١٩ م) فى هذا الوقت كان بابكا قد تفاقم خطره وقويت شوكته وزاد أتباعه حتى أصبح خطراً يهدد كيان الخلافة العباسية والدين الإسلامى معاً .

خامساً. أسباب خروج بابك :

لم يكن للحركات الهدامة التى قام بها الموالى الفرس خلال تلك الفترة التى تتحدث عنها أسباب واضحة المعالم تبرر الخروج على سلطان الخلافة وإنما كانت أهداف غامضة وملتوية ظاهرها الثأر والانتقام لأبى مسلم الخراسانى وباطنها إضمار الكراهية والحقد للعرب ، ومن ثم السعى إلى تقويض أركان الإسلام الذى هو سبب عزهم ومجدهم والذى مكن لهم من إخضاع كل هذه القوى الكبيرة المتمثلة فى الفرس والروم .

---

(١) ماجد - العصر العباسي الأول ١/ ٢٩٤ .

(٢) حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ١٤٧ .

لم يكن إذن الثأر لأبى مسلم الهدف الحقيقى لخروج هذه الطوائف الضالة وإنما هو ستار اتخذته لتخفى ورائه أهدافها القومية والدينية .

ولم تصرح المصادر بالأسباب الحقيقية لخروج بابك الخرمى بهذه الثورة وإنما وجدت بعض الإشارات العابرة التى يمكن أن تكون لها صلة مباشرة أو غير مباشرة فى الاستدلال على الأسباب الحقيقية لخروج هذا الثائر اللئيم .

أولاً : أشار اليعقوبى إلى أن عمال المأمون فى أذربيجان وإرمينية هم الذين حرضوا بابك على العصيان وكان فى مقدمتهم حاتم بن هرثمة والى الخليفة المأمون على إرمينية وأذربيجان وذلك إنتقاماً لأبيه الذى اغتاله المأمون عام ٢٠٥ هـ(١) .

حيث نزل حاتم بن هرثمة بعد أن أتاه خبر موت أبيه مدينة كسال وبنى فيها حصناً وكاتب البطارقة ووجوه أهل إرمينية وكاتب بابك والخرّمية وهون أمر المسلمين عندهم فتحرك بابك والخرّمية وغلب بابك على أذربيجان(٢) .

وعندما سمع المأمون بالخبر سارع إلى عزل حاتم بن هرثمة وولى مكانه يحيى بن معاذ بن مسلم مولى بنى ذهل .

ثانياً : أن إنتقال المأمون من خراسان إلى بغداد بعد أن انتصر على أخيه الأمين بسيوف الفرس أثار الفرس عليه وهيأ الفرصة للساخطين وأعداء الدولة من الخروج على سلطانه وعلت أصوات الفرس بالنعرة القومية لإعادة مجدهم المفقود .

ثالثاً : أنه خرج إنتقاماً لأبى مسلم الخراسانى الذى كان يرمز فى نظرهم إلى القومية الفارسية ، ومن هنا عظم أتباعه شخصيته وقالوا برجعته ولذلك نسبت إليه هذه الفرقة فعرفت بالمسلمية . كما عرفت بالفاطمية نسبة إلى ابنته فاطمة ..

وفى رأينا أن هذه الأسباب جميعاً تضافرت وأدت ببابك الخرمى إلى الخروج بهذه الحركة الهدامة .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٢٤ .

(٢) المصدر السابق .

فقد انتهز بابك فرصة النزاع القائم بين الأمين والمأمون وثار فى وجه الخلافة العباسية وقوى أمره وعز جانبه حتى أوشك أن يعزل المقطعات الفارسية عن الغرب(١) .

عند ذلك نهض الخليفة المأمون لمحاربته وقطع دابره ، ففى عام ٢٠٤ هـ بعث إليه بأحد قواده وهو يحيى بن معاذ ولكنه لم يظفر به وظل كل منهما يقاتل دون أن يظفر بالنصر على خصمه .

وأخيراً تمكن بابكا من أسر يحيى بن معاذ(٢) ، ولما فشل يحيى فى الظفر ببابك عهد المأمون إلى عيسى بن محمد بولاية إرمينية وأذربيجان وكان من القادة المحاربين وأمره بمحاربة بابك ولكنه هزم وفر من أرض المعركة بما معه من الجنود ويصف اليعقوبى هذه الهزيمة وصفاً بارعاً فيقول (فأحتشد لقتال بابك جنود الحربية فأخذ فى مضيق فلقيه بابك فيه فهزمه فمر عيسى مولياً لا يقف على شىء فصاح به بعض شطار الحربية إلى أين يا أبا موسى ؟ فقال ليس لما فى قتال هؤلاء بخت إنما نُخشى فى قتال المسلمين)(٣) .

لم يفتر عزم المأمون عن مطاردة هذا الثائر اللئيم ، وإنما أخذ فى تتبع أثره فأخذ يرسل له الجيش بعد الجيش والقائد تلو القائد بهدف إضعافه حتى يتمكن من القضاء عليه .

ففى عام ٢٠٩ هـ بعث المأمون صدقة بن علىّ المسمى زريق والياً على أرمينية وأذربيجان وعهد إليه بمحاربة بابك ولكنه لم يصنع شيئاً معه وإنما أخذ يمالئه دون قتال وشق عصا الطاعة وطفق يجول فى قوهستان والعراق ويغير على القوافل وينهبها فأسرع الخليفة إلى عزله وولى محمد بن حميد الطوسى مكانه(٤) .

ويذكر اليعقوبى أن زريق بن علىّ لما أظهر تقاعساً وعدم الرغبة فى قتال بابك ولى المأمون مكانه محمد بن حميد الطوسى ، فلما بلغ زريقاً خبر صرفه

---

(١) كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٣٥ .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل ٨/ ٥٧٦ ، اليعقوبي ٢/ ٣٢٥ .

(٣) اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٢٥ .

(٤) نظام الملك سياست نامه ص٢٨٩ .

وعزله خلع وأظهر المعصية ، كما أسند إلى إبراهيم بن الليث بن الفضل النجيبى أذربيجان[١] .

ولما أرسل المأمون محمد بن حميد الطوسى عام ٢١٢ هـ أمره أن يجعل طريقه على الموصل ليصلح أمرها ويحارب زريق بن علىّ فسار محمد إلى الموصل[٢] ومعه جيشه وجمع ما فيها من الرجال ومضى لحرب زريق وبلغ الخبر إلى زريق فسار نحوهم فالتقوا على الزاب[٣] فراسله محمد بن حميد يدعوه إلى الطاعة فامتنع ، فلما يعد أمامه إلا القتال واقتتلوا حتى انهزم زريق وأصحابه وطلب الأمان فأمنه محمد حتى ظفر به فأحكم قيوده وأرسل به إلى المأمون فكتب المأمون إلى محمد يأمره بأخذ جميع مال رزيق من القرى والرستاق التى كانت تحت يده ففعل[٤] .

ويصرح نظام الملك « أن ابن حميد الطوسى لما كلف بحرب بابك لم يطلب شيئاً من خزانة المأمون وجهز الجيش من خزانته الخاصة وقاتل زريقاً وأسره وأهلك جنده فأقطعه المأمون قزوين[٥] ومراغة[٦] ومعظم أذربيجان[٧] .

سار محمد بن حميد بعد أن طهر البلاد من الخونة والماكرين إلى محاربة هذا الخصم العنيد بابك الخرمى واستعرت بينه وبين بابك عدة حروب طاحنة أبدى فيها جيش المسلمين من ضروب الشجاعة والرجولة ما يبعث على

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٢٥ .

(٢) الموصل ـ احدى قواعد بلاد الإسلام باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان وسميت بذلك لأنها وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل بين الجزيرة والعراق (معجم البلدان ٥/ ٢٢٣) .

(٣) الزاب ـ هى منطقة بين بغداد وواسط وهما زابان .. الزاب الأعلى ومأخذه من الفرات والزاب الأسفا فقصبته نهر سابي قرب مدينة واسط (معجم البلدان ٣/ ١٢٤) .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٤٠١ ، واليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٢٥ .

(٥) قزيون ـ مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرين فرسخاً (معجم البلدان ـ ٤/ ٣٤٢) .

(٦) مراغة ـ بلدة مشهورة من بلاد أذربيجان ، وقد لجأ الناس إليها فنزلوها وتحصنوا فيها أثناء فتنة بابك الخرمي (معجم البلدان ٥/ ٩٣) .

(٧) سياست نامة ص٢٨٩ .

الفخر والإعجاب وكان النصر حليفهم فى كل هذه المعارك وجنح أصحاب بابك إلى التربص بجيش محمد بن حميد حتى تواتيهم الفرصة حتى إذا صار جيش المسلمين إلى موضع ضيق فترجل بن حميد وجماعة معه فحمل عليهم أصحاب بابك فقتلوهم وقتلوا جماعة من وجوه أصحابه[١] وكان قتله بهشتادسر .

حزن المأمون لمقتل محمد بن حميد حزناً شديداً وتألم لفراقه وذلك لأنه كان من أخلص قواده وخيرة رجاله ، وعلى الرغم من كل هذه الهزائم المتلاحقة التى منى بها قواد المأمون إلا أنها لن تنل من عزمه ولم تفت فى عضده ، إذ ندب لحرب بابك من فوره عبد الله بن طاهر واليه على خراسان وأقطعه ولاية قوهستان كلها وكل ما فتحوه وأذربيجان ، وكتب إلى القضاه وعمال الخراج بالإنتهاء إلى أمره ومضى عبد الله بن طاهر إلى أذربيجان لمحاربة بابك[٢] .

وأقام بالدينور وبدأ فى تنظيم جنده فأقر القواد الذين كانوا مع محمد بن حميد على الإقامة فى موضعهم ، وقد أظهر عبد الله قوته وشجاعته وثبت أمام بابك فعجز بابك عن الصمود أمامه ولم يقو على مقاومته ففر هارباً إلى حصن منيع وتفرق جنده ومن التف حوله من الخرمية[٣] .

وفى عام ثمانى عشرة ومائتين خرجت الخرمية بأصفهان وفارس وأذربيجان فى الوقت الذى ذهب فيه المأمون إلى بلاد الروم غازياً وكانوا قد تواعدوا جميعاً على وقت معلوم وأعدوا عدتهم ثم خرجوا للسلب والنهب فقتلوا كثيراً من المسلمين وسبوا نساءهم وبنيهم[٤] .

ويرى بعض الباحثين[٥] أن عبد الله بن طاهر لم يتمكن من هزيمة بابك وإنما ظلت الحرب بينهما سجالاً إذ يبدو أنه لم يكن يحاربه بنفسه وإنما كان يقيم بدينور ويوجه إليه الجيوش فأرسل إليه قائداً عربياً مشهوراً هو محمود

---

(١) اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٢٥ ، والطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٦٢٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) نظام الملك ص٢٨٧ .

(٤) اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٣٠ .

(٥) ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤٠٢ .

ابن حميد الطوسى ، إلا أن بابك تمكن من أسره فى عام ٢١٢/ ٨٣٧ ثم قتله بعد ذلك فى عام ٢١٤/ ٨٢٩ ورثاه بعض الشعراء .

وهكذا لم يتمكن الخليفة المأمون من القضاء على بابك قضاء نهائياً مع أنه لم يدخر جهداً فى إرسال الجيوش والمحاربين لتأديبه والقضاء عليه ، وإنما الفتنة قائمة تنفث سمومها وأفكارها الهدامة بين أهالى أذربيجان وهمذان وأصبهان وما جاورها من المدن والبلاد وبات الأمر يتطلب من الخلافة الإسلامية سرعة القضاء على هذا الثائر العنيد وإيجاد قوة رادعة ترده إلى مكمنه قبل أن يتفاقم خطره ويهدد أمن البلاد ، لذا أوصى المأمون ولى عهده المعتصم فى أن يتجرد لهذه الفتنة بكل ما أوتى من قوة فقال فى وصيته (والخرمية فاغزهم ذا حرمة وصرامة وجلد واكنفه بالأموال والجنود فإن طالت مدتهم فتجرد لهم فيما معك من أنصارك وأوليائك)[١] .

الخرمية فى عهد المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م):

دخلت الخرمية وعلى رأسها بابك طوراً جديداً فى عهد المعتصم حيث جد بابك فى استغواء أرباب النحل الزائفة وأصحاب الفتن وأخذ يستميل عقول الفجرة والكفرة بلا برهان فكثرت جموعه حتى بلغ فرسانه ألف فارس سوى الرجالة واستحوذ على كثير من المدن والقرى الواقعة مابين أذربيجان وإيران وقتل عدة قواد من المسلمين حتى قيل أنه قتل فيما حفظ ألف ألف إنسان مابين رجل وامرأة وصبى[٢] .

وفى عهد المعتصم كثر اتباع بابك ودخل فى دعوته كثير من أهل الجبال من همذان وأصبهان وماسبذان فى دين الخرّمية وتجمعوا فعسكروا فى همذان فوجه المعتصم إليهم عساكر المسلمين بقيادة إسحاق بن إبراهيم[٣] فقتل من الخرمية ستين ألفاً وهرب الباقون إلى بلاد الروم[٤] .

---

(١) الطبري - تاريخ الرسل ٨/ ٦٦٥ ، وابن الأثير - الكامل ٥/ ٤٢٠ .

(٢) البلخي - البدء والتاريخ ٢/ ٢٩٩ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب أحد القواد الأشداء ، أرسله المعتصم لحرب بابك ثك اشتد على الأفشين بطل برقة في شمال أفريقيا وعهد إليه بحرب بابك .

(٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٦٦٨ ، والأثير - الكامل ٥/ ٤٥٨ .

وقيل أنه قتل مائة ألف سوى النساء والصبيان والأسرى الذين أتى بها مكبلين بالأغلال إلى بغداد .

وليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن بابك كان قد قتل من جيوش المعتصم مائة ألف سوى النساء والصبيان فى ٢١٩ هـ(١) .

عمد المعتصم إلى إصلاح ما تهدم وخرب من أفعال بابك فبعث أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل(٢) وأمره أن يبنى الحصون التى خربها بابك فيما بين زنجان(٣) وأردبيل وأن يترك فيها قوة من الرجال لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى هناك ، وامتثل أبو سعيد لأمر المعتصم وبنى الحصون التى خربها هناك(٤) .

بيد أن عيون بابك التى كان يبثها فى كل مكان أخبرته بالخبر فأسرع بابك إلى بعث سرية إلى هناك ليغيروا عليهم وبلغ ذلك أبا سعيد فجهز جيشه وجمع الناس وخرج إليه يعترض سرية بابك وتمكن أبو سعيد من قتل بعضهم وأسر البعض الآخر وأرسل بالرؤوس والأسرى إلى المعتصم بالله فكان هذا أول هزيمة لأصحاب بابك(٥) .

وبدأ المعتصم فى التدبير للقضاء على حركة بابك التى عكرت صفو الدولة العباسية فلجأ إلى الاستعانة بكل العناصر والأفراد التى من الممكن أن يساعدوه فى القبض عليه ، لأن بابك كان يتحصن بالمغارات والمسارب الضيقة والتى تخفيها الهضاب والتلال ، وكان يرسل منها السرايا والعيون لمعرفة أخبار المسلمين ، وكانت هذه المسارب لا تعلم إلا لخاصته وبعض الصعاليك المقيمين فى القلاع والحصون القريبة منه ، ومن ثم استعان المعتصم ببعضهم

---

(١) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤٠٣ .

(٢) أردبيل ـ من أشهر مدن أذربيجان ، وكانت فضية الناحية قبل الإسلام (معجم البلدان ـ ١/ ١٤٤) .

(٣) زنجان ـ بلد من نواحي الجبال بين أذربيجان وأبهر وقزوين ، وقد تم فتحها سنة ٢٤ هـ على يد البراء بن عازب في عهد عثمان بن عفان (معجم البلدان ٣/ ١٥٢) .

(٤) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ١٢ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٣ .

(٥) المصدر السابق .

ليستدل على المواقع الحصينة التى يقيم فيها هذا الثائر اللئيم فلجأ إلى محمد بن البعيث الذى كان يقيم فى قلعة حصينة تسمى الشاهى وهى من كورة أذربيجان ، كما كان له حصن آخر من أذربيجان يسمى تبريز وكان ابن البعيث مصالحاً لبابك تنزل سراياه عنده فيضيفهم ويُحسن إليهم .

وكان بابك يُرسل بالسرايا والجواسيس فى كل مكان لمطالعة الأخبار فبعث بسرية إلى ابن البعيث على رأسها رجل يُقال له عصمة فاستضافهم وقدم لهم الطعام وأنواع الخمور حتى سكروا فقام إلى عصمه فأحكم وثاقه وقتل من كان معه من أصحابه إلا من بقى منهم خارج الحصن فكان يستدعيهم واحد تلو الآخر فيضرب عنقه حتى علم الباقون ففروا هاربين فى الجبال[١] .

ثم سير ابن البعيث عصمة إلى المعتصم وهو يرسف فى القيود والأغلال فسأله المعتصم عن بلاد بابك فأخبره بطرقه ووجوه القتال فيها وأمر بسجنه فظل محبوساً إلى أيام الواثق[٢] .

سادساً. الصراع بين الأفشين وبابك :

تفرغ الخليفة المعتصم لمحاربة بابك والقضاء على ثورته التى طالما هددت ملكه وأقلقت باله وأفنت أعداداً هائلة من جنود المسلمين منذ عصر المأمون حتى خلافة المعتصم .

ولم يعد هناك ثمة فائدة من تركه أو الصبر عليه ، بل ربما أدى تركه إلى استفحال أمره وعرض الدولة الإسلامية إلى مخاطر لا تحمد عواقبها .

ندب المعتصم قائده المشهور الأفشين[٣] حيدر بن كاوس الأشروشنى لحرب بابك على رأس جيوش كثيرة مكونة من عناصر مختلفة من الترك

---

(١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٩/ ١٢ .

(٢) المصدر السابق ٩/ ١٣ .

(٣) كان الأفشين وهو حيدر بن كارس من بلاد اشروسنه الواقعة شرقى فرغانة بين سمرقند ونهر سيحون ، كان من خيرة قواد المعتصم ، ولذا كان يدخره لإخضاع الصعاب من الأمور ، لأنه كان يتمتع بالمكر والدهاء ، ولهذا تمكن الأفشين من القضاء على بابك الخرمي بعد فشل كثير من القواد .

والبربر وجند العراة والبصرة وسار بهم إلى بلاد بابك بعد أن علم من بعض أتباعه الذين وقعوا فى الأسر طرقها ووجوه القتال فيها ، وعسكرت الجنود فى مدينة برزند[١] وهى مدينة قريبة فى المكان والموقع من عاصمة بابك ، وقيل أن الذى جهزها وأعدها للجنود هو الأفشين ليشن منها الغارات على بابك ويترقب حركاته ويدرسها عن قرب[٢] .

وأخذ الأفشين فى ضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين أردبيل وانتظر ريثما تنحصر الثلوج عن الطرقات[٣] .

---

(١) برزند ـ بلد من نواحي تقليس من أعمال جرزان من أرمينية ، وقيل برزند من نواحي أذربيجان وعمرها الافشين وجعلها معسكراً له أثناء حربه مع بابك (معجم البلدان ١/ ٣٨٢) .

(٢) نظام الملك ـ سياست نامة ١٩٢ .

(٣) أبو حنيفة الدينوري ـ الأخبار الطوال ص ٥٩٠ .

وقام الأفشين بعدة تنظيمات للقادة والجند وأقامهم فى نواحى مختلفة وأرسل العيون فى كل مكان فكانوا إذا ظفروا بأحد من الجواسيس حملوه إلى الأفشين فكان لا يقتلهم ولا يضربهم بل كان يحسن إليهم ويهب لهم العطايا ويسألهم عما كان يعطيه لهم بابك فيضاعفه لهم ثم يقول لهم كونوا جواسيس لنا ولكم ما تريدون ، وبهذه الطريقة تمكن من الانتفاع بهم(١) .

كما أنه جمع كل الصعاليك ووجوه القوم الذين كانوا يقطنون الجبال وضمهم إليه وكانت الإمدادات لا تنقطع عن الأفشين من قبل الخليفة ، ففى عام ٢٢٠ هـ بعث المعتصم مع بغا الكبير إلى الأفشين مالاً كثيراً للجند والنفقة عليهم فوصل إلى أردبيل وبلغ الخبر بابك فتهيأ هو وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله إلى الأفشين ونقل أحد الجواسيس إلى الأفشين الخبر فصنع حيلة ليضلل بها أصحاب بابك(٢) وينجو بالمال .

وأقبل بابك فى جمع من أصحابه وإذا بالأفشين وجنوده لهم بالمرصاد فاشتبكوا معهم فى حرب شدد فيها المسلمون على أصحاب بابك فقتلوهم جميعاً وفرّ بابك إلى موقان(٣) فأقام بها حتى جاءته عساكر من البذ فرحل معهم .

وقد قُتل من أصحاب بابك فى أرشق(٤) خلقاً كثيراً قيل أكثر من ألف رجل(٥) .

كانت الحامية الإسلامية بقيادة الأفشين قد اتخذت مدينة برزند قاعدة لها وقد أمر الأفشين بحفر خندق عظيم بها ، فلما فرغوا من حفر الخندق استخلف الأفشين ببرزند الموزبان فى جماعة من القواد وسار هو حتى نزل الخندق ووجه يوباره فى جمع كثيف إلى رأس نهر كبير وأمرهم بحفر خندق آخر هناك فاحتفراه ، فلما فرغوا وافاهم الأفشين فأقام بكلان روذ خمسة أيام فأتاه من أخبره أن قائداً لبابك اسمه (آذين) قد عسكر بإزائه

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل ٩/ ١٢ .
(٢) ابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٤٣٥ .
(٣) موقان ـ ولاية فيها قرى ومروج وهى من أذربيجان . (معجم البلدان ٥/ ٢٢٥) .
(٤) أرشق ـ جبل بأرض موقان من نواحي أذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي (١/ ١٥٢) .
(٥) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ١٤ .

فوجه إليه الأفشين ظفر بن العلاء السعدى فى جماعة من الفرسان والرجالة فانقضوا على أولاد آذين فأسروهم جميعاً[١] .

استمرت الحرب بين الأفشين وبابك قرابة العامين أو يزيد[٢] .

وكانت الحرب قاسية بينهما فالمكان كان صعب ومتعثر لوجود الهضاب والجبال فى هذه المنطقة مع نزول المطر المستمر بحيث انقضى الشتاء فى عام ٢٢١ هـ ولم يستطع الجند أن يحاربوا بابك فسعى الأفشين إلى وضع خطة جديدة تمكنه من التغلب على هذه الظروف الصعبة فبدأ فى مهاجمة قواد بابك فإذا تمكن من إخضاعهم والقضاء عليهم استطاع الوصول إلى بابك فى سهولة ويسر .

عمد الأفشين إلى محاربة آذين وانتصر عليه[٣] .

وذلك لأن الأفشين كانت قواته أكثر رجالاً وأوفر كراعاً وأتم عدة وسلاحاً من خصمه العنيد بابك وأصحابه .

بدأت قوات بابك فى التناقص بشكل منتظم بسبب القتل الذى راح يحصد قواته يوماً بعد يوم ، وقد يرجع لتقدم جيوش المسلمين على بابك إلى الخطط الحربية المحكمة التى شرع الأفشين فى وضعها وإلى الحنكة السياسية التى كان يتمتع بها ، إذ كان يلجأ إلى الحيلة مع خصمه إذا أعيته المواجهة ويلجأ إلى المواجهة إذا أعيته الحيلة حتى يظفر بخصمه وينتصر عليه .

وفى عام ٢٢٢ هـ بدأت قوات المسلمين بقيادة الأفشين تزحف إلى مدينة البذ لفتحها وتطهيرها مما وقع لأهلها من فتنة بابك وأحس بابك هنالك بأن نهايته قد قربت فسارع إلى فتح باب الحوار مع الأفشين .

سابعاً- حوار بابك مع الأفشين :

لجأ بابك إلى الحوار بعد أن عجز عن المواجهة فأرسل إلى الأفشين رجلاً

---

(١) ابن الأثير - الكامل ٥/ ٤٤٤ .

(٢) نظام الملك - سياست نامة ص١٩٢ ، والبغدادي - الفرق بين الفرق ص١٦١ .

(٣) يسهب المؤرخون في بيان ذكر الأحداث التي وقعت بين الأفشين وبابك ووصف المعارك الحربية والأماكن التي دارت عليها والصعاب التي واجهت جيوش المسلمين في هذه الأماكن الموحشة وذلك للوقوف على حجم الجهود التي بذلها المسلمون في القضاء على هذه الحركات الهدامة .

يُقال له (موسى الأقطع) يسأله أن يخرج إليه ليكلمه بما فى نفسه فأجابه الأفشين إلى ذلك فخرج بابك حتى صار بالقرب من الأفشين فى موضع بينهما واد[١] ، فلما رأى الأفشين انحنى له تعظيماً وتوقيراً فعرض عليه الأفشين الأمان وأعلمه مافى الطاعة من السلامة فى الدنيا والآخرة[٢] .

ويذكر اليعقوبى أنه يبدو أن بابك الخرمى كان يمكر بالأفشين ويحتال عليه حتى تحين له الفرصة للانقضاض عليه ، وما يدل على ذلك أنه رفض قبول الأمان من الأفشين لما عرضه عليه وسأله أن يؤخره يومه ذلك فقال له إنما تريد أن تحصن مدينتك ، فإن أردت الأمان فاقطع الوادى فانصرف بابك إلى موضعه وأعلن الحرب[٣] .

وبينما تشير المصادر أن الذى طلب الحوار والمشافهة هو بابك الخرمى ، يصرح نظام الملك أن الأفشين هو الذى سارع إلى طلب الحوار مع بابك حيث أرسل إليه من يقول له (اشخص إلى رجل حازم مجرب من رجالك أحدثه بعض حديث فيه مصلحة لكلينا ، فأشخص بابك إليه رجلاً من خاصته فقال له الأفشين « قل لبابك لكل ذى بداية نهاية وأن رأس الرجل ليس بكراث يجتث فينبت من جديد ، لقد هلك من رجالى معظمهم حتى لم يبق من العشرة واحد وما أحسب الأمر إلا كذلك فى فريقك فتعال نتصالح على أن نقنع بهذه الولاية التى تغلب عليها وتهدأ حتى أرجع وآخذ لك من أمير المؤمنين الولاية وأرسل لك بذلك منشوراً ، وإن كرهت نصيحتى فتعالى نشتبك دفعة واحدة حتى نرى أينا يحالفه الإقبال » ، فخرج من عنده الرسول إلى بابك) .

ولعل هذه المراسلة التى بدأها الأفشين كانت سبباً فيما بعد باتهامه أنه تهاون فى حرب بابك ، وعلى كل حال فإن الحوار وأساليب التفاهم لم تنجح مع هذا الخصم العنيد فلم يبق إذن غير المواجهة والقتال .

---

(١) يذكر اليعقوبي أنه كان بينهما نهر ، أما الطبري فيصرح أنهما اقتربا من بعضهما حتى كان بينهما قدر ميل .

(٢) اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٣٣ ، الدينوري ـ الأخبار الطوال ص٥٩٢ .

(٣) المصدر السابق .

ثامناً. اللقاء الفاصل بين الأفشين وبابك:

تسهب المصادر فى وصف المصادمات والمعارك التى نشبت بين بابك الخرمى وقوات المسلمين وما دار فيها من قتال وما نتج عنها من خسائر فادحة فى الأرواح والأموال حتى صرح نظام الملك بأن الحديث عن أول خروجه حتى هلاكه حديث طويل يملأ مجلداً ضخماً[١].

فإن من يقرأ للطبرى وابن الأثير يجد إسهاباً كبيراً فى وصف المعارك والحروب والخطط الموضوعة للقضاء على بابك وحركته، ومن ثم فإننا سنحاول اختصار هذه الحروب وإيجازها حتى لا يتعرض القارىء للسآمة والملل.

عزم الأفشين على وضع خطة محكمة الجوانب للتخلص من فتنة بابك والقضاء عليه فلجأ إلى الخدعة والحيلة فى استدراج بابك فأخفى أغلب قواته وراء الجبال وفى الأخاديد حتى يوهم خصمه بقلة جنده وضعف قواته فكان جملة ما أخفاهم الأفشين وراء الجبال ألفين من الفرسان وخمسة آلاف من الرجال المقاتلين[٢]، كما أمر بحفر الخنادق على كل طريق ولم يترك مسلكاً إلى الجبال منها إلا مسلكاً واحداً، كما أمر جنوده بأن يلزم كل منهم موضعه حتى يأمرهم بالرحيل.

وأرسل بابك رسولاً إلى الأفشين بطعام وشراب وأعلمه أنه فى رغد من العيش وكان الهدف الأول من إرسال هذا الرسول هو الاطلاع على قوات المسلمين وتعدادهم حتى يتمكن بابك من ترتيب قواته، فلما بلغ الرسول بابك وأبلغه الرسالة وأطلعه على قلة الجند وأيدت هذا الخبر العيون والأرصاد التى كان يبثها بابك فى كل مكان عقد العزم على قتالهم ومهاجمتهم بعد ثلاثة أيام[٣].

كانت إمدادات الخليفة للأفشين مستمرةلم تتوقف طوال حربه مع هذا الخصم اللعين، ففى عام ٢٢٢ هـ جهز المعتصم جيشاً كبيراً وبعث به مدداً

---

(١) سياست نامة ص٢٩٣.

(٢) نظام الملك - سياست نامة ص٢٩١.

(٣) المصدر السابق ص٢٩١.

للأفشين وبعث معه ثلاثين ألف ألف درهم نفقة الجند فاقتتلوا قتالاً شديداً إذ كانت رغبة الخليفة فى القضاء على هذه الفتنة قوية بعد أن شعر بخطورتها وآثارها على دولته[١] فى هذا العام .

بدأ الأفشين بعد أن اجتمعت له كل أسباب القوة وبعد وصول هذه الإمدادات ، وكان قد أحكم الخطة القتالية ليقضى بها على هذا المتمرد ، ومنها إخفاء أكثر رجاله خلف الجبال والوديان وأعلمهم ألا يغادروا هذه الأماكن حتى يولى ومن معه الادبار ، أمام عسكر بابك فإذا رأيتم ذلك أسرعتم من أخاديدكم وقطعتم عليهم طريق الوادى حتى لا يستطيعوا العودة إليه .. عند ذلك يقعوا بين فكى الرحى فلا يستطيعوا الفرار[٢] .

فلما كان اليوم المحدد ساق بابك جنده من الوادى وهم يزيدون على مائة ألف فارس وراجل وظهر لهم جند الأفشين أحقر مما كانوا ، فقد رأوا من قبل ولم يروا جنداً آخر واتصلت بينهما الحروب وقاتل الفريقان قتالاً عظيماً وقتل من الفريقين خلق كثير ، وما أن حانت ساعة حتى ولى الأفشين الادبار ، ثم أنه قال لصاحب الراية (ارفع الراية وأثنوا العنان) وكان الجند يقفون عند كل ما يجدون من مغانم ومتاع وبابك لا يفتأ يقول لهم (لا تنشغلوا بالمغنم حتى تفرغ من أمر الأفشين وجنده دفعة واحدة) وطارد بابك مع فرسانه الأفشين أما الرجالة فقد انشغلوا بالمغانم .

ثم أن العشرين ألف فارس التابعين للأفشين والذين عسكروا خلف الجبال والوديان تواثبوا يميناً وشمالاً من الأخاديد والجبال فألقوا رجالة الخرمدينية منتشرين فى الصحراء فأخذوا عليهم طريق الوادى واعملوا فيهم السيوف فسقطوا مابين قتيل وجريح وفار من ساحة القتال ، وانقلب الأفشين فى جنده فطوقوا بابك وكلما حاول أن يجد مهرباً لم يجد حتى أدركه الأفشين وأسره[٣] .

وظل الأفشين طوال يومه يكر ويفر ويقتل ويشرد حتى جن عليه الليل

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ص٢٩٢ .

(٢) نظام الملك ـ سياست نامة ص٢٩١ .

(٣) نظام الملك ـ سياست نامة ص٢٩٢ .

حتى قيل أن عدد من قتل فى هذه المعركة ثمانين ألف رجل - وافتتح الأفشين البذ مدينة بابك واستباح ما فيها بعد حصار طويل وحروب هائلة وقتال شديد(١) .

تاسعاً. نهاية بابك الخرمى :

لما استولى الأفشين وجنوده على بلدة البذ دار ملك بابك وسر سلطته هرب ومن معه من أهله وولده ومعه أمه وامرأته وشرذمة قليلة من خاصته وأصاب بابك الجوع فرأى حراثاً فبعث غلامه إليه وأعطاه ذهباً فقال أعطه الذهب وخذ ما معه من الخبز ، كان للحراث شريك فذهب لحاجة فنزل الغلام إلى الحراث ليأخذ منه الطعام فرآه رفيق الحراث فظن أنه يأخذ مامعه غصباً فذهب الى حصن هناك فيه نائب الخليفة يُقال له سهل بن سنباط فجاء معه ليرى ما الخبر ، فلما سأله من أنت ؟ قال له أنا من غلمان بابك ، فقال وأين هو ؟ فقال هاهو جالس يريد الغذاء ، فلما رأى وجه بابك عرفه وما لبث سهل أن كتب إلى الأفشين يعلمه بذلك فأرسل إليه الأفشين رجلين من رجاله ليمسكوا ببابك ، وظل بن سنباط يخدع بابك ويستدرجه حتى وصل رجال الأفشين وقبضوا عليه(٢) .

نظر بابك بعد أن أمسك به وأحكم قيده إلى سهل وقال له قبّحك الله فهلا طلبت منى من المال ما شئت كنت أعطيك أكثر ما يعطيك هؤلاء ، فلما مثل بابك بين يدى الأفشين قام فتلقاه وأمره أن يترجل فيدخل بين الناس وهو ماش ففعل فكان يوماً مشهوداً ثم احتفظ به وسجنه عنده وكتب إلى المعتصم بالخبر فأمره الخليفة أن يقدم به وبأخيه(٣) .

ويذكر المسعودى أن الناس لما علموا بالخبر ضجوا بالتكبير وعمهم الفرح والسرور وكتبت الكتب إلى الأمصار بالفتح(٤) .

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٤ ، وابن الأثير - الكامل ٥/ ٤٥٠ .

(٣) ابن الأثير - الكامل ٥/ ٤٥١ ، وابن كثير - البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٤ ، والمسعودي - مروج الذهب ٤/ ٥٦ .

(٤) مروج الذهب ٤/ ٥٦ .

أقبل الأفشين ومعه بابك إلى من رأى عام ٢٢٣ هـ وكان الخليفة قد أمر أخاه الواثق أن يخرج إلى الأفشين لاستقباله فتلقى الأفشين هارون بن المعتصم وأهل بيته الخلافة ورجال الدولة ونزل بمكان يسمى قاطول[١] على مسافة غير قصيرة من سامراء .

وبعث المعتصم إليه بالفيل الأشهب[٢] .

صار الأفشين ببابك ومن معه بعد أن أحكم وثاقه إلى سامراء حيث أنزله الأفشين فى قصره بالمطيرة[٣] ، فلما كان فى جوف الليل ذهب أحمد بن أبى داود متنكراً فرآه وكلمه ثم رجع إلى المعتصم فوصفه له فلم يصبر المعتصم حتى ركب إليه فدخل عليه متنكراً ونظر إليه فتأمله وبابك لا يعرفه ، وفى الغد أراد المعتصم أن يشهره ويريه للناس فأشير عليه أن يحمل على فيل فأمر بتهيئة الفيل حتى قال بعض الشعراء :

قد خضب الفيل كعاداته ... يحمل شيطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاؤه ... إلا لذى شأن من الشان[٤]

كما حمل إلى الأفشين درّاعة[٥] من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ودراعه دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سقاسك بألوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر وألبس بابك الأولى وأخوه الثانية وقدم إليه الفيل فركبه وضرب له المصاف صفين فى الخيل والرجال والسلاح والحديد والرايات والبنود من القاطول إلى

---

(١) قاطول ـ اسم نهر من دجلة كان في موضع سامراء قبل أن تعمر وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى بجواره قصراً (معجم البلدان ٤/ ٢٩٧) .

(٢) هذا الفيل حمله بعض ملوك الهند إلى الخليفة المأمون هدية له وكان فيلاً عظيماً قد جلل بالديباج الأحمر والأخضر وأنواع الحرير الملون .

(٣) المطيرة ـ هى قرية من نواحي سامراء وكانت من متنزهات بغداد (ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٥/ ١٥١) .

(٤) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٥٣ ، أثير ـ الكامل ٥/ ٤٥٥ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٤ .

(٥) الدرّاعة / ثوب من صوف .

سامراء وبابك على الفيل يخطر بين الصفين وهو ينظر إلى ذات اليمين وذات الشمال ويميز الرجال ويظهر الأسف على ما فاته من سفك دمائهم(١) .

ودخل على الخليفة المعتصم بعد هذه الزينة فلما أخذته عين الخليفة قال له أنت بابك فلم يجب فكررها عليه مراراً وبابك ساكت فمال إليه الأفشين وقال له الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت فقال نعم أنا بابك ، فقال له أيها الكلب لماذا آثرت الفتنة فى الأرض ، فلم يجبه بشىء فأمر الخليفة أن يجرده من الزينة وأن يقطع يديه ورجليه ويضرب بهما وجهه وبابك يتمرغ فى الدم ثم أمر السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ثم أمر بجز لسانه وصلب أطرافه مع جسده ثم حمل رأسه إلى مدينة السلام(٢) .

وقيل أن الخليفة لما أمر بقطع أعضائه عضواً عضواً ليذوق العذاب الأليم ويموت موتة مروعة أمر بعد ذلك بإحضار جلد بقرة حديثة الذبح فأدخلوا بابك الملعون فيه ووضع رأسه عند قرنى البقرة وخيط الجلد عليه وظل كذلك حتى جف عليه الجلد(٣) .

حمل بابك بعد ذلك إلى خراسان ليطاف به كل مدينة من مدنها وكورها ليعرف الناس مصير كل ثائر ومتمرد يحاول إشهار سيفه فى وجه المسلمين بغير حق(٤) .

ولما قُتل هذا الملعون وأخوه وزالت الفتنة وانقشع الضباب قام فى مجلس المعتصم الخطباء والبلغاء والشعراء ابتهاجاً بهذه المناسبة فتبادلوا التهنئة ومدحوا الخليفة وقادته ومما قيل فيه :

يا أمين الله إن الحمد لله كثيراً
هكذا النصر فلا زال لك الله نصيراً
وعلى الأعداء أعطيت من الله ظهيرا

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب ٤/ ٥٧ .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٥٣ ، والمسعودي ـ مروج الذهب ٤/ ٥٨ .

(٣) نظام الملك ـ سياست نامة ص٢٩٣ .

وهنيئـــاً هيـــأ الله لـك الفتـح الخطـــيرا
فهـو أفتـح لم يـر الناس لـه فتحـاً نظـيرا
وجـزى الأفشـين عبد الله خـيراً وحبـــوراً
فلقـــد لاقـى بـــه بابـك يومـــاً قمطـــريراً
ذاك مـولاك الذى ألفيتـــه جـلداً صـــبوراً
ضربة ألقت على الدهـر لـه فى الوجه نـوراً[١]

عاشراً- الآثار الجانبية لفتنة بابك:

خلفت هـذه الفـتنـة المضلة التى قـام بهـا بـابـك فى خراسـان خـلال العـصـر العباسى الأول آثاراً سيئة وتمخـضت عن خسـائر فادحـة فى الأمـوال والأنفس والثمـرات حيث استغرقت مـدة الفتنـة منـذ ظهـورها حتى القضـاء عليها عشرين عـاماً خـاض خلالهـا المسلمـون ضـد هـذا الكافـر حـروباً طاحنـة تمخـضت عن قـتـل مـئـات بـل ألـوف من المسلمـين ، فـقـد أحـصى المؤرخـون عـدد من قـتـل بابـك فى عشـرين سـنة مائتى ألـف وخمسمائة وخمسـة وخمسين نفساً ، وأسـر خلقـاً لا يحـصون عـدداً فكان جـمـلة من استنفـذه الأفشـين من أسـره نحـواً من سـبعـة آلاف وستـمائة إنسـان وأسـر من أولاده سـبـعة عشـر رجـلاً ومن حلائله وحلائل أولاده ثلاثاً وعشرين امـرأة من الخـواتين[٢] .

كمـا قتـل بابك عـدداً من القـواد المسلمين الذين بعـث بهـم الخليفـة للقضـاء عليـه ، ومن القـادة الذين تغلب عليهم بابك يحيى بن معـاذ وعيسى بن محمـد بن أبى خـالد وأحمـد بن الجنيـد ورزيـق بن عـلىّ ومحمد بن حميـد الطـوسى .

أمـا عن الخـسـائر فى الأمـوال فكـان جمـلة الذى أخـرجه الأفشـين من المـال مـدة مقـامه فى حـرب بابـك عن كـل يـوم يركب فيـه عشـرة آلاف درهـم ، وفى كـل يـوم لا يركب فيـه خمسـة آلاف درهـم خـلال عشـرين عـاماً متواصلة[٣] .

ويذكـر المؤرخـون أن أحـد جـلاديه وقـع ذات يـوم فى الأسـر ، فلـمـا سـئل

---

(٤) المسعودي ـ مـروج الذهـب ٤/ ٥٨ .

(١) المسعودي ـ مروج الذهـب ٤/ ٥٩ .

(٢) الطبـري ـ تاريخ الرسـل والملوك ٩/ ٥٥ ، ابن الأثـير ـ الكـامل ٥/ ٤٥٥ .

كم قتلت قال إن بابك له جلادون كثيرون وأما أولئك الذين قتلتهم أنا من المسلمين فستة وثلاثون ألفاً ماعدا أولئك الذين قتلهم غيرى وأولئك الذين قتلوا فى الحروب(١) .

هذا يدلنا على الكم الهائل من الخسائر الفادحة التى تكابدتها الخلافة العباسية سواء كانت فى الأموال التى أنفقها الخليفة على جيوش المسلمين منذ ظهور هذه الفتنة أو كانت فى أعداد القتلى نتيجة المعارك والحروب أو فى الفساد الذى لحق بالقرى والمدن والضياع التى كانت تضمها خراسان .

وفى هذه المناسبة السعيدة قام الخليفة بتتويج قائده الأفشين المظفر بتاج من الذهب مرصع بالجوهر وإكليل ليس فيه من الجوهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب ، كما ألبس وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم منها عشرة آلاف صلة وعشرة آلاف ألف درهم يفرقها فى أهل عسكره وعقد له على السند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه وأمر للشعراء بصلات(٢) .

توجت جهود الأفشين التى بذلها وخططه التى وضعها للقضاء على فتنة بابك .. توجت بالانتصار والفوز عليه وعد هذا الانتصار مفخرة من المفاخر التى تضاف إلى سجله وتاريخه العسكرى ، ولهذا استحق التكريم من الخليفة والمدح من الشعراء فقال فيه أبو تمام الطائى :

بذ الجلاد والبذ فهو دفين ... ما أن بها إلا الوحوش قطين

لم يقر هذا السيف هذا الصبر فيه ... هيجاء إلا عز هذا الدين

قد كان عذرة سودد فافتضها ... ولقد ترى بالأمس وهى عرين

هطلت عليها من جماجم أهلها ... ديم أمارتها طلى وشؤون

كانت من المهجان قبل مفازة ... عسراً فأفضحت وهى منه معين(٣)

كما قام المعتصم بتزويج الحسن بن الأفشين بأترجه بنت أشناس وزفت

---

(٣) المصدر السابق .

(١) نظام الملك ـ سياسة نامة ص٢٩٤ .

(٢) المسعودي ـ مروج الذهب ٤/ ٥٩ ، الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٥٥ .

إليه وأقيم لها عرس يجاوز المقدار فى البهاء والجمال حتى قال المعتصم :

زُفت عَروسٌ إلى عروسٍ بنت رَئيسٍ إلى رَئيسِ
أيهما كان ليت شعرى أجل فى الصدرِ والنفوسِ
أصاحب المرهفِ المحلى أم ذو الوشاحين والشموس[١]

خروج الخرمية فى عهد الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ) :

لم تقعد جماعة الخرمدينية عن الخروج والفساد فى الأرض والإغارة على القرى للسلب والنهب وقتل النساء والأطفال وإثارة الفتن والقلاقل فى البلاد ، ففى عهد الواثق خرجت من ناحية أصفهان وكان منهم شر عظيم وفساد كبير وطفقوا يعاودون الخروج حتى عام ثلاثمائة[٢] .

وكانت الخرمدينية (الخرمية) تتخذ من القتل والسلب وسيلة لذرع الخوف والرعب فى قلوب الناس إذ كانوا لا يدعون رجلاً ولا امرأة ولاصبياً ولا طفلاً من قريب أو بعيد إلا قطعوه وقتلوه فدخل الناس رعب شديد وهول عظيم من أفعالهم ، وقد ساعدهم على الاستمرار فى الفساد والطغيان ماكانوا يتحصنون به من الجبال والمواقع الحصينة التى يجتمعون بها بعد أعمال الإغارة والسلب .

الحادى عشر. عقائد الخرمية ومبادئهم :

للخرّمية مبادىء هدامة وأفكار مخربة أخرجتهم عن جملة فرق الإسلام إلى الكفر المحض الصريح وقد صنفهم أئمة الملل والنحل ضمن أصحاب الإباحية الذين استباحوا المحرمات ورفعوا الحرج عن كل المنهيات ودعوا إلى إتيان الفواحش والمنكرات[٣] .

وعلى هذا فمبادئهم تعد امتداداً للمبادىء الهدامة التى دعا إليها مزدك قديماً من استباحة أموال الناس والأشياء كلها ، فالناس شركاء فى الأموال والنساء وقد اتخذت الخرّمية من هذه المبادىء طريقاً ومنهاجاً صاروا عليه

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٥ .

(٢) المصدر السابق ٤/ ٥٩ .

(٣) نظام الملك ـ سياسة نامة ص٢٩٤ .

وأضافوا إلى هذه التعاليم والمبادىء التى أخذوها عن مزدك وغيره من الضلالات والخرافات ما يشهد على كفرهم وضلالهم البعيد.[١]

فمن مبادئهم الأساسية تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس المجوس ، وبعبارة أخرى العمل على إضعاف الإسلام أو محوه وإحياء المجوسية القديمة التى عاشوا فى ظلها ردحاً طويلاً من الزمان .

ومما يؤيد هذا قول البلخى : فإن الخرمية احتالوا فى إزالة الملك إلى العجم فموهوا هذه النحلة وزينوها للجهال ودعوا إليها فى السر ومحصول أمرهم التعطيل والإلحاد[٢] .

ومن مبادىء الخرمية تأليه البشر ورفعهم إلى مصافى العصمة والكمال ، فقد ادعى بابك كذباً وزوراً أن روح جاويدان حلت فيه حتى جعل الخرأمية يقولون (آمنا بك ياروح بابك كما آمنا بك ياروح جاويدان)[٣] .

كما قالت الخرمية بالحلول[٤] ، ولهذا قالوا بأن روح أبى مسلم قد انتقلت إليه من إنسان لآخر حتى وصلت إلى بابك ، ولقد كانت الخرمية مسبقة فى هذا الزعم بالبيانية[٥] الذين زعموا ألوهية سيدنا علىّ بن أبى طالب ﷺ وقالوا أحل فى علىّ جزء إلهى واتحد فى جسده[٦] .

وبالسبائية[٧] أصحاب عبد الله بن سبأ ..

---

(١) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص١٦٠ ، الشهرستاني ـ الملل والنحل ٢/ ٥٧ .

(٢) البدء والتاريخ ٢/ ٢٩٩ .

(٣) الفهرست ـ ابن النديم ص٤٦٤ ، حسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ٩٢ .

(٤) الحلولية ـ هم القائلون بحلول جزء إلهي في بعض الأئمة مثل عليّ وغيره (الفرق بين الفرق ـ ١٥٤) .

(٥) البيانية ـ هم أتباع بيان بن سمعان القائلين بألوهية عليّ بن أبي طالب وأن جزء إلهي حل به ثم انتقل إلى أبي هاشم ثم انتقل إلى بيان عن طريق التناسخ ، ولهذا ادعى النبوة . (الفرق بين الفرق ص١٤٥) .

(٦) الشهرستاني ـ الملل والنحل ١/ ١٥٢ .

(٧) السبائية ـ هم أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعليّ بن أبي طالب أنت أنت .. يعني أنت الإله فنفاه إلى المدائن وكان يهودياً فأسلم ولكن إسلامه ظاهرياً ، فلما قُتل الإمام عليّ زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً بل شيطان تصور للناس في صورة عليّ وأن عليا صعد إلى السماء مثل عيسى عليه السلام وأن الرعد صوته والبرق تبسمه وأنه سينزل إلى

وقد صرح الإمام البغدادى بوجود الصلة بين القائلين بالحلول والخرّمية فقال (وتبع هؤلاء الحلولية قوم من الخرمية شاركوهم فى استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات)(١) .

كما كان من مبادىء الخرّمية القول بالرجعة التى قال بها غلاة الشيعة الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الألهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالآلة وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى وكل بدع الضلال محصورة فى أربع :

التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ وتعددت ألقاب الغلاة وتنوعت حسب المكان والموطن ، ففى أصبهان الخرمية والكوذية وبالرى المزدكية والسنباذية وبأذربيجان الدقولية وبموضع آخر المحمرة وبما وراء النهر المبيضة(٢) .

ويشير البلخى إلى مبادىء الخرّامية الهدامة بأنهم يجمعون على القول بالرجعة ويقولون بتغيير الاسم وتبديل الجسم (يعنى القول بالتناسخ) ويزعمون أن الرسل كلهم على اختلاف شرائعهم وأديانهم يحصلون على روح واحدة وأن الوحى لا ينقطع أبداً وكل ذى دين مصيب عندهم إذا كان راجى ثواب وخاشى عقاب ولا يرون تهجينه والتخطى إليه بالمكروه مالم يرم كيد نحلتهم وخسف مذهبهم ويعظمون أمر أبى مسلم ويلعنون أبا جعفر المنصور لقتله أبى مسلم ويكثرون الصلاة على فيروز لأنه من ولد فاطمة بنت أبى مسلم ولهم أئمة يرجعون إليهم فى الأحكام ورسل يدورون بينهم ويسمونهم (فريشتكان) ولا يتبركون بشىء مثل تبركهم بالخمور والأشربة المسكرة وأصل دينهم القول بالنور والظلمة وإباحة النساء وإباحة كل ما يستلذ النفس وينزع إليه الطبع(٣) .

وهذا كله ضلال وتضليل وإفساد للأفهام والعقول والبعد بها عن نطاق الحق والمنطق السوى السليم .

---

(١) الفرق بين الفرق ص١٥٤ .

(٢) الشهرستاني ـ الملل والنحل ١/ ١٧٤ .

(٣) البلخي ـ البدء والتاريخ ١/ ٣٣٠ .

ومن الدعائم القوية والأسس الراسخة والقواعد الثابتة فى مذهبهم تجنب كل ما من شأنه أن يجهد البدن وإسقاط الشريعة والتكاليف كالصلاة والصوم والحج والزكاة وتحليل الخمر واستباحة أموال الناس ونسائهم والابتعاد عن كل ماهو فريضة(١) .

والعجيب أن بابك عندما تولى أمر الخرمية أحدث فى مذاهبهم جرائم جديدة منها القتل والغضب والحروب والمثلة وهى جرائم لم تكن فى الخرمية قبل ذلك(٢) .

لم تتفرد الخرّمية بأسلوب واحد فى جذب الأنصار والأعوان إليها ، وإنما كان لها عدة أساليب ملتوية تقوم على النفاق تارة وعلى المكر والخداع تارة أخرى ، فطالما أظهروا فى دعوتهم الصدق والتقوى ومحبة آل بيت رسول الله ﷺ حتى يتصيدوا بذلك الناس ، فإذا قوى أمرهم اجتهدوا فى أن يفسدوا أمة محمد ﷺ ودينه وهم يتعاونون على ذلك فيما بينهم ، وإن الكفار لأشفق منهم على المسلمين(٣) .

كما أنهم يدعون أتباعهم إلى الجد فى جمع الأموال واحتجانها عن مستحقيها مظهرين لهم أن هذا هو الاقتصاد(٤) .

ويرى بعض الباحثين أن هناك صلة بين اسم الخرمية وبين اللذة والإباحية فإسم الخرّمية قد يكون مشتقاً من خرم (ومعناها لذيذ) فهؤلاء كانوا لايعرفون ديناً غير اللذة التى لا حد لها ، ولهذا كرههم أهل السنّة نظراً لهذه الإباحية التى عملوا على نشرها .

ويرى بعض الباحثين أن حركة بابك فى مضمونها حركة إصلاحية تهدف إلى إقرار مبادىء مزدك الإصلاحية والعمل على إحيائها ، وهذه المبادىء كلها إباحية كذلك ، فإن صح أن حركة بابك كانت امتداداً لمذهب مزدك القديم فلا يبعد أن تكون الحركات الفارسية الهدامة التى قامت خلال تلك

---

(١) نظام الملك ـ سياسة نامة ص٢٩٥ .

(٢) ابن النديم ـ الفهرست ص٤٦٤ .

(٣) المصدر السابق ص٢٩٥ .

(٤) المصدر السابق .

الفترة أن تكون وثيقة الصلة بهذه النحلة ولاسيما أن الهدف أو الغاية التى قامت على أثرها هذه الحركات كانت واحدة فى الظاهر وهو الثأر والإنتقام لمقتل أبى مسلم الخراسانى ، وواحدة فى الباطن من حيث القول بالتناسخ والرجعة والحلول وغير ذلك من الخرافات والضلالات .

ومن هنا يتضح لنا أن أصل مذهب مزدك والخرمدينية (الخرّمية) والباطنية والبابكية واحد وهم يبتغون دائماً هدم الإسلام ويتعاونون على ذلك فيما بينهم ، فالكفر ملة واحدة فهم أعداء الإسلام وأعداء آل بيت رسول الله ﷺ ، يضلون الخلق عن سواء السبيل ، فمن رحمهم من المسلمين أو والاهم على المسلمين وأهل الكتاب لعنه الله والملائكة والنبيون والأولون والآخرون ، وكان يوم القيامة مأخوذاً .